أَلبِشَارَةُ، صُوَرُها، وَدَلَالَاتُها في القُرْآنِ الكَرِيمِ

م.د. لؤي طارق علي

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

فحوى البحث

اســتعمل القرآن الكريم مادة (بَشَّر) بصيغ مختلفة وبدلالات متعــددة، وهــذه كلها تتخذ اشــكالا بنائية متعــددة تختلف في نظمها وشــكلها وعلاقتها في الســياق القرآني، فالبشــارة بطبيعتها تــدل على الشيء الســار والمفرح وهذا النوع من البشــارات جاء للأنبياء والاولياء والمؤمنين والبشــارة بالكتب الســماوية والبشارة بنزول المطر، في حين ان المعنى المضاد للبشارة الحسنة ونقصد بها البشارة بالأمر السيء قد وردت في السياق القرآني للكفار والعاصين، والبحث بطبيعته يســلط الضوء على هذه البشارات ودلالاتها من خلال السياق القرآني.

بسم الله الرحمن الرحيم

البشارة لغة:

جاء في كتاب جمهرة اللغة ((بَشَرت الرجل وبشَرتَه بما يُسَرّ به... والبشرى والبشارة اسم لما بشِّرتَ به))[1]، وعلى هذا فان البشارة من بَشَرَ يَبشرَ بمعنى أبشر، والبشرَ بالوجه الطلاقة والفرح، يقول ابن فارس (٣٩٥هـ) ((الباء والشين والراء: أصل صحيح يدل على ظهور الشيء مع حسن وجمال... والبشير: الحسن الوجه، والبشارة: الجمال. يقال: بشرت فلانا أبشره تبشيراً وذلك يكون في الخير، وربما حمل عليه غيره من الشر ن وقد يراد به التبكيت))[2] وكذلك يطلق على الرياح التي تهبّ بالسحاب والغيث المبشرات، وكذلك تطلق على الارض التي خرج نباتها فيقولون: أبشرت الارض، وما أحسن بشَرتها والارض ذات بشرة: أي نبت فيها بقلٌ كثير وعشب[3]، ويقول الراغب الاصفهاني عن البشارة بأنها ((اول ما يصل اليك من الخبر السار، فاذا وصل اليك ثانيا لم يسمَّ بشارة))[4].

وعلى هذا نرى ان البشارة في اصلها تعني الأخبار التي ترد على (المُبشَر) لكي يفرح ويُسر بالخير الذي سمعهُ، الا ان البشارة قد تخرج الى معنى اخر من خلال السياق الذي وردت فيه كما سنرى في البحث فتخرجه الى معنى الشر والحزن، فالأصل اذا في مادة (بشر) هو ((الانبساط المخصوص الطبيعي والطلاقة في السيماء لوجوههم تكوينا، ويمكن ان يقال ان البُشر حالة طبيعية للإنسان من الانبساط، وهي قبل التبسم))[5]، وتخرج الى المعنى المضاد للسرور احياناً.

الاستعمال القرآني:

جاءت مادة (بشر) في الاستعمال القرآني في صور ودلالات مختلفة منها ما تكون بشارة للأنبياء، و بشارة للأولياء،

(١) جمهرة اللغة، مادة (بشر): ١/ ٣١٠، وينظر: الصحاح في اللغة: ٢/ ٥٩٠، وتهذيب اللغة: ١١/ ٢٤٦، والمفردات في غريب القرآن: ٥٢.

(٢) مقاييس اللغة: ١/ ٢٥١.

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ٣٥١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٢.

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٢٩٧.

والبشارة بالكتب السماويـــة، والبشارة بالرياح والمطر، والبشارة للأشخاص، وتقسم الاخـيرة الى بـشارة للمؤمنين وبشارة للكفار وهذه كلها تتخذ اشكالا بنائية متعددة تختلف في نظمها وشكلها وعلاقتها في السياق القرآني وتركيباته من شكل الى اخر، وبيان هذه البشارات هو:

أولاً: بشارة الانبياء:

جاء هذا النوع من البشارة في قوله تعالى﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[سورة الاسراء: ١٠٥][٦] فـ (مبشرا) جاءت صفـــة للرسول الكريم محمدﷺ ، فهو يبشـــر المؤمنين المطيعين لأوامر الله وتوصيات رسوله الكريم، فالبشـــارة جاءت عن طريق رجل وصفته الآية الكريمة بـ (مبشرا)، والملاحظ كذلك ان السياق القرآني في الآية الكريمة جاء ليجمع بين ((التنويه بشان القرآن وانه منزل من الله، وتنويه بشان النبي عليه الصلاة والسلام ورفعة منزلته عند الله وعموم رسالته))[٧]، كذلك نرى ان صفة التبشير قدمت على صفة الانذار وذلك لما في التبشير من شرف المبشرين ولأنه المقصود الاصلي للأنبياء لما له من فطرة الانسان على حب الخير، وما يأتي بعده يكون عارضا على اصل الفطرة من المحبة الى الكره ومـن الـعداوة الى البغضاء ومن البشارة الى الانذار.

ووردت البشـــارة للأنبيـــــاءعليهم السلام كـذلـك في قـولـه تعالى﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[سـورة هود: ٧٤] [٨]، فالسياق القرآني في الآية يشد الذهن الى قضيتين معكوستين، الاولى الـروع الذي كان في قلب ابراهيمعليه السلام من خلال قدوم الملائكة وعدم معرفته لهم فأوجس منهم خيفة، أما الأمر الاخر فهي البشارة بعد الروع، فالملائكة بعد ان رأوا ابراهيم في حالة روع بشروه بان الله سيرزقه ولداً والمقصود به اسحاقعليه السلام ومن بعد اسحاق يعقوبعليه السلام،

(٦) وينظر: سـورة الاحـزاب: ٤٥، وسـورة الفتح: ٨، وسورة الفرقان: ٥٦، وسورة الصف: ٦.

(٧) التحرير والتنوير: ١٤/ ١٨٠ -١٨١، وينظر: الدر المنثور: ٩/ ٤٥٧.

(٨) وينظر: [سورة العنكبوت: ٣١].

ومن بديع القرآن الكريم في هذه الآية انه قدم الروع على البشارة لتكون خاتمة الشخص المرجوة هي السعادة لا الحزن.

كذلك قوله تعالى﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾[سورة هود: ٧١][٩]، فالآية جاءت لتبشر امرأة نبي الله ابراهيم عليه السلام بالمولود الجديد بعد ان بلغت من العمر سنين متقدمة يستحيل في الامور الطبيعية ان يكون هناك حمل، كذلك الملاحظ في الآية ان الفعل اسند الى ضمير المتكلم (نا) وذلك لان البشارة جاءت عن طريق الملائكة الذين كانوا ضيوف ابراهيم عليه السلام، كذلك نرى تعدد الدلالة من المولود الجديد الى المستقبل الذي يكون من ذرية ابراهيم، وتحتمل البشارة كذلك امتداد النسل النبوي لهذه العائلة وعدم انقطاعها، فالفعل (بشر) ورد في الآية الكريمة نتيجةً بعد مقدمة حصلت طبيعية لكل امرأة، فالمعلوم ان المرأة في الامور الطبيعية تكون بحالة الحمل اذا كانت لها مدة حيض شهرية وهذا الامر يدل على ان باستطاعة المرأة ان تكون حاملا اذا كان لها هذا الامر، وبانتفائه يصعب الحمل، او تدخل المرأة سن الياس الذي يصعب فيه الحمل بصورته الطبيعية، الا ان الذي حصل في الآية الكريمة ان امرأة ابراهيم عليه السلام كانت قائمة على خدمة الضيوف وكان عمرها كبيرا يتعذر فيه الحمل وفي هذه الاثناء قد نزل دم الحيض[١٠]، فضحكت وجهها تعجبا من هذا الامر، فجاءت البشارة من الضيوف بان هناك حملا مستقبلا وسيكون هناك مولود.

ان البشارة التي جاءت عن طريق الفعل الماضي الذي انقضى وتم كانت للضحك الذي هو ((أمارة تقرب البشرى الى القبول، والآية تهيء نفسها للاذعان بصدقهم فيما يبشرون به، ويكون ذكر قيامها لتمثيل المقام وانها ما كانت تخطر بالها انها ستحيض وهي عجوز، وانما كانت قائمة تنظر ما يجري عليه الامر

(٩) وينظر: [سورة الصافات: ١١٢]، و[سورة الحجر: ٥٥].

(١٠) ينظر: تفسير الطبرسي: ٥/ ٣٠٧، وتفسير الصافي: ٣/ ٢٦، وتفسير الكشاف: ٢/ ٣٠٤، والنكت والعيون: ٢/ ٤٨٥-٤٨٦.

بين بعلها وبين الضيفان النازلين به وتحادثهم))[11] وكذلك نلحظ ان حدث الفعل الماضي مشحون بالمفاجأة والرهبة والرغبة بالنتيجة لان البشارة جاءت بعد انقطاع وياس من تحققها، الا ان مشيئة الله فوق كل شيء، فهو حدث جاء لأمر كبير، ومن الملاحظ كذلك ان الفعل الماضي اسند الى الضمير (الهاء) ولم يسند الى ضمير (هم)، لان البشارة موجهة الى امرأة ابراهيم بسبب ((ان المولود سيكون من نسلها وامتداداً لها على حقيقة ان ابراهيم متزوج من امرأتين فاذا رزق بمولود من أي المرأتين سيكون امتداداً له، الا ان المرأة عندما تلد مولودا يكون امتدادا لها دون ولد زوجها، كذلك انها كانت عقيماً وتتمنى الولد وتحرص عليه وعلى هذا جاء اسناد الضمير (الهاء) اليها دون الضمير هم))[12]، وقد أكد هذا الامر ايضاً الضمير الهاء.

وكذلك جاءت البشارة للأنبياء في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[سورة الحجر: ٥٤][13]، فالفعل بشر بصيغته الماضية جاء في السياق القرآني مسبوقا باستفهام من قبل نبي الله ابراهيم(عليه السلام)، فالاستفهام من هذه البشارة كان نتيجة لأمر المولود الجديد كما سبق في الآية السابقة، فالتعجب جاء على لسان ابراهيم(عليه السلام) لكمال قدرة الله تعالى[14] بان سوف يرزقه مولودا، وكذلك لاستبعاد ابراهيم لهذه البشارة، لأنها في العادة التي اجراها الله على خلقة بعيدة كل البعد عن التحقق بهذا العمر، فالبشارة جاءت بما لا يتصور وقوعه عادة فجاء الاستفهام هنا لأمر عجيب معلوم بمنزلة الامر غير المعلوم لأنه يكاد يكون غير معلوم، فالتعجب جاء لان ابراهيم قد علم انهم ملائكة صادقون لا يكذبون[15]، حتى وان كانت المقدمات من كبر عمره وكبر عمر زوجته غير صالحة في الامور الطبيعية، الا انها متحققة فعلا لورودها

(١١) تفسير الميزان: ١٠/ ٣١١.
(١٢) البحر المديد: ٣/ ٦٠، وينظر: تفسير الشعراوي: ١١/ ٦٥٦٠.
(١٣) [سورة الذاريات: ٢٨].
(١٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٤٠٦.
(١٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ٤٧ -٤٨.

من الله على لسان الملائكة.

وجاءت البشارة ايضا في الخطاب القرآني الى نبي الله زكريا في قوله تعالى﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة ال عمران: ٣٩][١٦]، وقوله تعالى﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٧] ففي الآية الاولى جاءت البشارة والتبشير في الفعل المضارع لنبي الله زكريا عليه السلام عندما كان يصلي في المحراب للمولود الجديد، فهي بشارة تتحدث عن الحلم المنتظر كما تتحدث عن الواقع في تعيين اسمه وصفته، كذلك هناك نكته لطيفة في الآية الكريمة فهي لم تقل (ان الله يبشرك بمولود) وانما سمته باسمه ليدل ذلك على ان الاسم جاء من عند الله جل جلاله، وكذلك ليقطع بالأمر الراجح على ان المولود ذكر وليس انثى[١٧] وهذه البشارة جاءت نتيجة دعاء زكريا بان يرزقه الله ذكرا، اذ قال ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[سورة مريم: ٥]، والملاحظ ايضا ان البشارة كانت بتوسط الملائكة بين الله سبحانه وتعالى وبين زكريا عليه السلام لكي لا تدخل وسوسة الشيطان بينهما لذلك طلب زكريا عليه السلام من الله جل جلاله إمارة او آية ليطمئن على انها ليست وسوسة شيطان فقال عز وجل ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [سورة ال عمران: ٤١]، ونلاحظ كذلك ان هناك نكتة نحوية في الآية الكريمة في قوله تعالى﴿ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ فالبشارة جاءت هنا لمولود اسمه يحيى فعلم زكريا ان اسمه يحيى وليس كونه فعل الحياة في الارض وهذا كان بقرينة دخول الباء على الاسم، اذ ان الباء لا تدخل على الافعال وانما تدخل على الاسماء.

والملاحظ ان البشارة جاءت من خلال الفعل المضارع وهذا الفعل ((من دلالاته انه يدل على المستقبل، وبهذا فان نتائج هذه البشارة ستتضح معالمها

(١٦) ينظر: [سورة الحجر: ٥٣].
(١٧) ينظر: تفسير الميزان: ٣/ ٢٩٤.

في المستقبل القريب أي بعد تسعة اشهر من هذا الخبر))[18]، وبهذا تتحقق نبوة الآية للبشارة من خلال ما جاء به الفعل المضارع.

اما البشارة للأنبياء على وجه الجمع فجاءت البشارة في قوله تعالى﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[سورة النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى ﴿ وَمَانُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[سورة الانعام: ٤٨][19]، فلذلك جاءت صفة المبشر قبل المنذر، وذلك لان الانبياء يذكرون الناس بفطرتهم التي فطرهم الله عليها ومن اولويات الفطرة حب الخير للأخرين التي تمثل البشرى احدى مكنوناتها لان فيها الرحمة والثواب، عكس الانذار بالعقاب، والملاحظ ان الآيتين قدمتا البشارة على الانذار ((لأنها ابهج للنفس، واقبل لما يلقى النبي، وفيها اطمئنان المكلف، والوعد بثواب ما يفعله من الطاعة))[20]، الا ان الرازي يعلل تقديم البشارة على الانذار بقوله ((وانما قدم البشارة على الانذار، لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة، والانذار يجري مجرى ازالة المرض، ولا شك ان المقصود بالذات هو الاول دون الثاني فلا جرم وجب تقديمه في الذكر))[21]، وحقيقة الامر ان مدار الآيتين هو هدف بيان بعثة الانبياء، فهم مبشرون ومنذرون، وكذلك ان الآيتين بينتا لطف الله عن طريق ارسال الانبياء والرسل، كذلك انتصبت(منذرين ومبشرين) على الحال لما فيها من العلية في الشأن، أي ارسلناهم للتبشير والانذار.

ثانياً: بشارة الاولياء:

وردت البشارة للأولياء بصيغة الفعل المضارع لمريم(عليها السلام) في قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[سورة ال عمران: ٤٥]، فقد سبق فعل البشارة نداء مخصوصا الى مريم وهذا النداء من الملائكة كان لأمر مخصوص ومهم وهو مستقبل البشرية في حينه، فالبشارة جاءت

(١٨) من وحي القرآن: ٥/ ٢١٤.
(١٩) وينظر: سورة الكهف: ٥٦
(٢٠) تفسير البحر المحيط: ٤/ ١٣٦.
(٢١) تفسير الرازي: ٦/ ١٥.

لمريم لتبشرها بولادة نبي من انبياء الله وهو عيسى(عليه السلام)، فالخطاب القرآني كان المقصود به مريم لكي تستأنس بالخير الذي سياتي به المولود؛ لان ما حصل لها يجلب لها الحزن والسوء من قبل الاخرين[٢٢]، لان الكلام سوف يكثر على مريم من اين جاءت بهذا المولود لأنها غير متزوجة، والبشارة في الآية كانت في اول الامر غير صريحة في اسم المولود وانما قدم صفة له وهي انه (كلمة منه) ليدل على ان الامر عجيب، وبعد ذلك جاء بالاسم الصريح (عيسى)، والكلمة التي هي الاصل في تكون المولود (كن فيكون) التي نفخ فيها جبرائيل، اذ جاء الحرف (من) ليكون ابتداء لغاية مجازية متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة كائنة منه عز وجل[٢٣].

ثالثاً: البشارة بالكتب السماوية:

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٧][٢٤] فالبشارة في الآية الكريمة المقصود منها هو القرآن الكريم الذي بشر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بـه[٢٥]، اذ ان الانتفاع بالقرآن الكريم والطمأنينة وصدق ما جاء به من حقائق دنيوية واخروية يصح ان يقال عنه انه بشرى لما يحمله من هداية للأعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتو بها[٢٦].

وكذلك قوله تعالى﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[سورة مريم: ٩٧][٢٧]، فدلالة البشارة في الآية القرآنية جاءت عن طريق القرآن الكريم ذلك السفر الخالد على مر العصور الذي فيه هدى وبيان لكل شيء، فالملاحظ ان فعل البشارة جاء في سياق وصف لقوم معينين بصيغة (الد)، وما ذلك الا بسبب ان من طبيعة

(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٩٧.
(٢٣) ينظر: تفسير ابي السعود: ٢/ ٣٦، وتفسير الالوسي: ٣/ ١٦٠.
(٢٤) وينظر: سورة النمل: ٢، وسورة النحل: ٨٩، ١٠٢ وسورة الاحقاف: ١٢.
(٢٥) ينظر: تفسير للطوسي: ١/ ٣٦١.
(٢٦) ينظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٠٤.
(٢٧) وينظر: سورة الاسراء: ٩، وسورة الكهف: ٢.

البشارة انها لقوم اما ان يكونوا مؤمنين او معاندين كفرة، فالبشارة في الآية كانت من قبل الرسول الكريم ((لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرهم مما اعده الله لهم))[٢٨]، ونجد في الآية ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر ((انه يبشر به المتقين ذكر في مقابلته من هو في مخالفة التقوى ابلغ وابلغهم الالد الذي يتمسك بالباطل ويتجادل فيه ويتشدد))[٢٩]، وما مجيء الفعل بصيغة الفعل المضارع الا ليدل على دوام البشارة في زمن وجود الرسول وكذلك بعد مماته لان من دلالات الفعل المضارع الاستمرار والدوام.

رابعاً: بشارة الرياح والمطر:

جاء هذا النوع من البشارة في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾[سورة الاعراف: ٥٧][٣٠]، فقد عبر السياق القرآني عن ما تفعله الرياح بالبشرى ؛ لان اثار الرياح تجلب الرحمة من خلال جلب وسوق السحاب التي تحمل المطر فهي تبشر بالمطر، وحقيقة منفعة الرياح كثيرة منها انها لواقح للنبات، الا ان السياق القرآني في الآية الكريمة حدد منفعة وبشرى الرياح بالمطر من خلال جلب السحاب الثقال، يقول العلامة الطباطبائي ((والمراد بأرسال الرياح بشرا ارسالها مبشرات بالمطر قبيل نزوله والرحمة المطر))[٣١]، فالرياح هي التي تدل على نزول المطر، وكأنها ترسل البشرى للناس قبل نزول الغيث فهي تهديهم الى المطر فتكون البشارة فيه.

كذلك جاء الفعل المضارع (يستبشرون) كنتيجة لحال الانسان عندما يرى النعمة والرخاء قد اقبلت عليه، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [سورة الروم:

(٢٨) تفسير الطبرسي: ٦/ ٤٥٥، وينظر: تفسير الثعالبي: ٤/ ٤٢، ونظم الدرر: ١٢/ ٢٥١.

(٢٩) تفسير الرازي: ٢١/ ٢٥٧.

(٣٠) وينظر: سورة الفرقان: ٤٨.

(٣١) تفسير الميزان: ١٩/ ٢٢٦، وينظر: تفسير الامثل: ٥/ ٥٣.

٤٨]، فالبشارة هنا الفرح وهي نتيجة طبيعية لنزول المطر بعد ان قنطوا آيسين من نزوله، وهذه حقيقة الانسان في بيان الفرح والسرور عند نزول النعمة والسعة في الرزق، والسياق القرآني في هذه الآية لم يذكر قوماً او جنساً من البشر بعينهم وانما خصت الفرح والسرور لكل عبارة من دون الكفرة والفجرة ومن المؤمنين والصالحين، فنزول المطر يجلب المنافع للبشرية كلها ولا يختص بصنف معين من الناس.

اما ورود مادة (بشر) كصفة للرياح الواردة في صيغة اسم الفاعل فجاءت في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٤٦]، فالرياح صفتها في الآية مبشرة للناس وانها تجلب المنافع لهم فهي تبشر بالمطر والرحمة وكذلك تسير السفن، ومن الملاحظ ان مبشرات فيها دلالة على افعال تقوم بها الرياح فكأنها ((ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه (أي نزول المطر) وارسال الرياح بتحريكها في الجهات المختلفة))[٣٢]، فبشارة الرياح بالمطر تكون قبل نزوله لما تحمله من علامات دالة عليه كالغيم الحامل للمطر، وهذه الآية فيها دلالة على بديع قدرة الله في ارسال الرياح مبشرات بالمطر قبل نزوله.

خامساً: بشارة الاشخاص:

وتقسم هذه البشارة على قسمين منها ما يكون للمؤمنين المطيعين للأوامر الالهية، ومنها ما يكون للعاصين الكفار والمنافقين الذين من صفتهم على مر العصور هو تأخير وارباك بعثة الانبياء والمرسلين بكل الوسائل والاساليب، وسوف نتطرق الى هذين النوعين:

١. بشارة المؤمنين:

وتكون هذه البشارة للمؤمنين الذين يومنون بالأنبياء وبعثتهم، ومن مواضع البشرى الحسنة ما جاء به المصدر في قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ

(٣٢) تفسير الطبرسي: ٨/ ٦٨، وينظر: تفسير الامثل: ١٢/ ٣٥٩، وتفسير نظم الدرر: ١٥/ ٢٢١.

ٱلْحَكِيمِ ﴾[سورة ال عمران: ١٢٦][٣٣]، فحقيقة البشارة في النص القرآني هنا هو النصر الذي اعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين يوم بدر، والنصر بطبيعته يجلب معه الفرح والسرور لمحققه، فالبشارة متحققة بالنصر، وقد جاء الاستثناء في الآية الكريمة مفرغا من أعم العلل، وتكوين الخطاب في الآية الكريمة لـ ((تشريف المؤمنين وللإيذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة))[٣٤]، وحقيقة البشرى انها جاءت بمعنى الاستبشار أي الا لتبشروا به لكي يزداد نشاطكم في التوجيه الى طريق الحق ومحاربة المفسدين، فالبشرى في الآية اسم مصدر بمعنى التبشير وهو الاخبار بخير يطرا اثر الفرح الظاهر علة البشرة.

ووردت البشرى للمؤمنين كذلك في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة يونس: ٦٣-٦٤][٣٥]، فالبشارة جاءت هنا للخبر السار المفرح، وعليه فان البشارة انقسمت في الآية على قسمين، الاولى في الحياة الدنيا من خلال بشارة الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على الاعمال الصالحة او بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم او انها الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمنون لأنفسهم فالبشارة هنا اجمالية بما تقر به اعين المؤمنين من خيرات قبل حصولها[٣٦]، والثانية جاءت في الاخرة فالبشارة تختلف ؛ لان الجنة هي الجزاء وهي تختلف عن أي جزاء اخر، كذلك ان الآية كاشفة عن عدم وجود الخوف والغم والوحشة في شخصية وقلوب اولياء الله[٣٧]، والملاحظ كذلك ان الله سبحانه وتعالى قد خص المؤمنين بالبشرى من خلال اسلوب التقديم والتاخير، فقد قدم الخبر (لهم) على المبتدأ (البشرى) لاظهار

(٣٣) ينظر: سورة الانفال: ١٠.
(٣٤) تفسير ابي السعود: ٢/ ٨١، وينظر: البحر المحيط: ٣/ ٥٥، والتحرير والتنوير: ٣/ ٢١٢.
(٣٥) وينظر: سورة الزمر: ١٧.
(٣٦) ينظر: تفسير الطبرسي: ٥/ ٢٠٤، وتفسير الميزان: ١٠/ ٨٨، والدر المنثور: ٧/ ٦٨١.
(٣٧) ينظر: تفسير الامثل: ٦/ ٢٤٤.

كمال العناية باوليائه.

ووردت البشارة بصيغة الفعل المضارع للمؤمنين في قوله تعالى ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٢١][٣٨]، فالبشارة هنا جاءت من الذات المقدسة الى المؤمنين الذين هاجروا، وهذه البشارة عبارة عن عدة امور منها الرحمة التي تنزل على هؤلاء نتيجة اعمالهم الصالحة وكذلك الرضوان الذي يرضاه الله عنهم، وكذلك المفازة الكبرى وهي نتيجة هذه الاعمال في المحصلة النهائية والاخيرة والخلود في الجنة، يقول الطبرسي عن ذلك ((يبشرهم ربهم برحمة في الدنيا على السنة الرسل وبما بَيّنَ في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد (برحمة منه ورضوان) في الاخرة (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) أي دائم لا يزول ولا ينقطع... أي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق))[٣٩]، وعلى هذا فان ((ظاهر السياق ان ما بعده من الفضل في حقهم بيان وتفصيل لما ذكر... من فوزهم جيء به بلسان التبشير))[٤٠]، وكما قلنا في بادئ البحث ان التبشير هو المبادرة بإبلاغ الخبر المبشر بقصد ادخال السرور وهنا قد تحقق هذا الامر في السياق القرآني للآية من خلال صدوره من الله سبحانه وتعالى، فهي بشارة مشتملة على انواع من الرحمة والكرامة للمؤمنين فالبشارة لا تكون الا بالرحمة والاحسان، كذلك ان البشارة صادرة ممن هو اكرم الاكرمين، وكذلك البشارة تكون من خلال خيرات تعجز عن وصفها العقول ويقتصر اللسان على نعتها ووصفها[٤١].

كذلك وردت البشارة للمؤمنين بصيغة الفعل المضارع في القرآن الكريم بلفظ (يستبشرون) والملاحظ ان الفعل المضارع اذا سبق بحرف (السين) فانه يدل على الاستقبال، وهذا الاستقبال في هذا الفعل جاء لنعم الله التي سيحصلون

(٣٨) وينظر: سورة الشورى: ٢٣، وسورة فصلت: ٣٠.
(٣٩) تفسير الطبرسي: ٥/ ٢٩، وينظر: تفسير الامثل: ٥/ ٣٤٦، والبحر المحيط: ٥/ ٢٣.
(٤٠) تفسير الميزان: ٩/ ٢١٢.
(٤١) ينظر: تفسير الرازي: ١٦/ ١٦، وتفسير اللباب: ١٠/ ٤٧، وتفسير الثعالبي: ٣/ ١٧٠.

عليها المؤمنين في الدنيا وفي الاخرة، من ذلك قوله تعالى ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة ال عمران: ١٧١]، ففي الآية فنونا بلاغية منها الاختصاص من خلال اجر المؤمنين وهذا الاجر مختص فقط بالمؤمنين دون غيرهم، كذلك من الفنون البلاغية التكرار بـ (يستبشرون) و بأنعم الله من خلال النعمة والفضل، فالبشارة في الآية تحصيل حاصل نتيجة اعمال المؤمنين في الدنيا مما اوجب حصولهم على الاجر المتمسك بأنعم الله المطلقة غير المقيدة، وحقيقة الامر ان هناك نكتة في الآية، وهو ان العبد قد يعمل اعمالا حسنة محددة ومقيدة وكثير من الناس بل اغلبهم لا يستطيع في حياته الدنيا ان يعمل كل الاعمال الحسنة التي امر الله بها في كتابه والتي جاءت على لسان نبيه الكريم ويقتصر على الممكن من الاعمال، الا ان النتيجة تأتي من الله سبحانه وتعالى بالأنعم المطلقة غير المحددة من الفضل والكرم والجود... هذا ان دل فإنما يدل على عدم استصغار بعض الاعمال فقد يكون فيها الخير كله، وكذلك الملاحظ في البشارة هنا ان السياق القرآني كرر النعمة من خلال لفظة (النعمة) ولفظة (الفضل) وان كان الفضل هو النعمة فان تكراره جاء هنا بسبب كونها ((ليست نعمة مضيفة على قدر الكناية من غير مضاعفة السرور واللذة... وكذلك للتأكيد لتمكن المعنى في النفس))[٤٢]، وحقيقة هذا لاستبشار في الآية ان المؤمنين استبشروا وسروا لما عاينوه من رفاه الموعود وجزيل الثواب من عند الله[٤٣]، فالاستبشار جاء نتيجة لما لحق بالمؤمنين من شيء قد افرحهم وجعل وجوههم فرحة.

وجاء الفعل (يستبشرون) بشارة للمؤمنين في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٤]، فالآية حاكية عن حال المؤمنين الذين يزدادون

(٤٢) تفسير الطوسي: ٣/ ٤٨ -٤٩، وينظر: تفسير الطبرسي: ٢/ ٤٤٤، وتفسير ابي السعود: ٢/ ١١٣، وتفسير الالوسي: ٤/ ١٢٤.

(٤٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٤٤٠.

من الايمان عند نزول السور ((مستبشرين بذلك فرحين بما لهم في ذلك من السرور والثواب))[٤٤]، فالله سبحانه وتعالى بين ان المؤمنين يزداد ايمانهم عند نزول السور لما في تطبيقها من الثواب الكثير، فهم يسرون ويبشر بعضهم بعضا وقد تهللت وجوههم فرحا بنزولها لأنها سبب لزيادة كمالهم ورفع درجاتهم عند الله[٤٥]، ومن ثم تنزل عليهم رحمة الله ورضوانه وحصولهم على جنات ونعيم مقيم.

وجاءت البشارة للمؤمنين في قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥][٤٦]، وحقيقة البشارة في الآية الكريمة تحمل صفة الابدية التي تكون غير قابلة للزوال، وصفة الابدية تحمل بطياتها صفة الدائمية وعدم الفناء[٤٧]، فجنة الله التي وعدها للمؤمنين لا يمكن بمحل او زمان ان تفنى وهذا ما جاءت به البشارة، فإخلاص الطاعة لله ينتج عنها هذا النوع من البشارة، ونلاحظ ان فعل الامر الصادر من الذات الالهية الى خير من يصلح للتبشير وهو الرسول الاكرم محمدﷺ جاء للنعيم الدائم، وان البشارة كانت مخصوصة ومقيدة وليست مطلقة لصنف البشر عامة للإيحاء بانها جاءت جزاء ونتيجة لأمر محمود عند الله وانه لأناس عملوا عملا مختلفا ومرغوبا فيه من بقية الناس، كذلك نجد ان الالف والام في (الصالحات) جاءت ((لبيان الجنس لا الاستغراق، فهو يبشر كل من حصلت له حقيقة الجنس في أي انواع الجنس على حسب ما تعين لكل مكلف عن جهاد او صلاة))[٤٨].

كذلك جاءت البشارة بفعل الامر للمؤمنين المحسنين في قوله تعالى ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ

(٤٤) تفسير الطوسي: ٥/ ٣١٩.
(٤٥) ينظر: تفسير الالوسي: ١١/ ٥٠.
(٤٦) وينظر: سورة البقرة: ٢٢٣، وسورة التوبة: ١١٢، وسورة يونس: ٨٧، ٢، وسورة الاحزاب: ٤٧، وسورة الصف: ١٣، وسورة يس: ١١.
(٤٧) ينظر: تفسير الطبرسي: ٩/ ٤٦٦.
(٤٨) فوائد في مشكل القرآن: ٩٠.

﴿ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة الحج: ٣٧][٤٩]، فالإحسان الى الاخرين صفة محمودة وممدوحة من قبل الشارع المقدس وكذلك من قبل الناس، فالآية جاءت البشارة فيها الى صنف قد يكون قليلا في المجتمع الا وهم المحسنون وهم اصحاب الاموال الذي يجودون على الناس بما اعطاهم الله وكذلك اصحاب الخلق الحسن الذي يعطفون على الناس من خلال القول الجيد، وسياق الآية يوحي بالإحسان على امرين الاول هو الاحسان الى الذبيحة حين ذبحها وعدم اذيتها من خلال السكين التي تكون حادة وقاطعة لكي لا تتعذب الذبيحة، والامر الاخر يكون الاحسان فيه الى الاخرين من خلال توزيع لحم الذبيحة على المستحقين فهذا بحد ذاته احسان الى الاخرين، والمحسن ((هو الذ ي يفعل الحسن من الاعمال ويتمسك به فيصير محسنا الى نفسه بتوفير الثواب عليه))[٥٠]، فهو قد وجد الاحسان لا فعاله صورة ومعنى وتطبيق، فالبشارة جاءت لهؤلاء المحسنون لانهم فعلوا ما طلب الله منهم على علم و بينة.

وايضا جاءت البشارة للصابرين بصيغة فعل الامر في قوله تعالى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥]، فالبشارة هنا للصابرين بعدما ذكر اسباب الصبر ومقوماته التي يصبر عنها الانسان، فبتدأ بالخوف ومن ثم الجوع وبعد ذلك نقص الثمرات والاموال والانفس وهذه كلها ابتلاءات جاء النص القرآني ليبينها الى الناس، فان صبر الانسان على كل هذا فالبشارة التي وعدها الله له يستحقها عن جدارة، فالأمر بالبشارة جاء من الله سبحانه وتعالى الى رسوله الكريم للذين يستطيعون ان يخرجوا منتصرين من هذه الامتحانات الدنيوية التي ابتلى الله بها ثلة

(٤٩) وينظر: سورة الحج ٣٤، وسورة التوبة: ١١١.

(٥٠) تفسير الرازي: ٢٣/ ٣٨، وينظر: صفوة التفاسير: ٢/ ٢٩٠.

من الناس لا غيرهم[٥١]، ويوجد نكته في الآية وهي ان كل مشاكل وعوارض الدنيا مهما كانت صعبة وشديدة وقاسية فهي زائلة لأنها مؤقته وان ما اصيب به الانسان في الحياة الدنيا انما هو قانون عام يشمل كل الافراد والجماعات وان الذي يصبر على هذه الامور سوف تأتيه البشارة من الله سبحانه وتعالى[٥٢]، لأنها فضيلة اسلامية، اذا كانت تخلقا بآداب الاسلام الحنيف الذي اسس الى هذه الفضائل[٥٣]، وحقيقة الامر ان الصبر عبارة عن مختبر يظهر فيه الصابر على هذه الامور والجازع منها.

وجاءت مادة (بشر) بصيغة المشتقات في وصف احوال المؤمنين يوم القيامة وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[سورة عبس: ٣٨-٣٩]، فدلالة الاستبشار في الآية الكريمة ما يصير اليه المؤمنين من الثواب على اعماله في الدنيا و حصول الجزاء في الاخرة من السرور، واراد بالوجوه اصحاب الوجوه[٥٤] التي تكون ملامح وجوههم مضاءة فرحا وسرورا ومهلة لما شاهده من البشرى في ذلك اليوم، فوجوههم ((فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر التبشير على وجوههم وهؤلاء اهل الجنة))[٥٥] فهي وجوه مسرورة متهللة راجية من ربها الرحمة، مطمئنة بما تشعره من رضاه عنها، فهي تنجو من هول العذاب لتهلل وتَبتَشر وتضحك وتستبشر فهي قد عرفت مصيرها وتبين مكانتها فاستبشرت وتهللت.

والملاحظ ان هناك بشارة حسنة للأشخاص وهي لا تختص للمؤمنين وانما المنفعة لمجموعة من الاشخاص، وبالأخص هنا جاءت البشارة في الاستعمال القرآني للغنيمة التي يحصل عليها الفرد من خلال ايجاد شيء ينتفع به من ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ

(٥١) ينظر: تفسير الامثل: ١/ ٢٨٥، وفي ظلال القرآن: ١/ ١١٦.
(٥٢) ينظر: تفسير الامثل: ١/ ٢٨٥.
(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٥٣، وتفسير اللباب: ٣/ ٨٥، وتفسير المنار: ٢/ ٣٥.
(٥٤) ينظر: تفسير الطبرسي: ١٠/ ٢٧١.
(٥٥) تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٤١، وينظر: تفسير ابي السعود: ٩/ ١١٣.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٩]، فالبشرى هنا اطلقت نتيجة ايجاد شيء نافع للسيارة وهو الغلام الذي يعين على العمل من جانب ومن جانب اخر يكون سلعة تباع وتشترى فينتفع بثمنه[٥٦]، فالنداء من خلال (يا بشرى) يحتمل فيها امران، الاول ان البشارة كانت لنفسه من خلال حصوله على الغلام والانتفاع به، والثاني انها بشارة لقومه ورفقته فكانه انزلها منزلة الشخص فناداه بالبشرى وهذه الاستعارة مكنية [٥٧]، فالبشرى متحققة للحصول على غلام ينتفع به.

٢. **بشارة الكفار والعاصين:**

وهذه البشرى تأتي للأشخاص الذين يسلكون الطريق الخاطئ عن عمد، وهم بذلك يخالفون الرسل وما امرهم الله به من اتباعهم، وقد وردت البشرى السيئة بصيغة المصدر في قوله تعالى ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾[سورة الفرقان: ٢٢] فقد جاء المصدر (بشرى) منفيا بـ (لا) ليؤيد ان عدم البشرى في الآية الكريمة انما جاء للمجرمين الذين يحتاجون الى رحمة الله الا ان رؤية الملائكة الموكلين بالحساب والعقاب والعذاب يرهب هؤلاء المجرمين، وبهذا فان البشارة تنفي اذاً الرؤية نتيجة الاعمال الطالحة التي كانوا يعملونها، فعدم السرور الناتج برؤية الملائكة في ذلك اليوم كان بسبب ((انهم يرون علامات العذاب برؤيتهم الملائكة، وسوف يغمرهم الرهب الى حد انهم سيطلقون صرخات الاستغاثة التي كانوا يطلقونها في الدنيا حال الاحساس بالخطر امام الاخرين))[٥٨]، وعلة هذا ان نفي البشارة المطلقة متحققة لدى هؤلاء بسبب مصيرهم المحتوم وذلك لان النار التي هم اوقدوها ستحرقهم رغما عنهم.

وجاء الفعل (يستبشرون) كذلك واصفا حال العاصين المشركين في قوله تعالى ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[سورة الحجر: ٦٧]، فالآية

(٥٦) ينظر: تفسير ابي السعود: ٤/ ٢٦١.
(٥٧) ينظر: تفسير الالوسي: ١٢/ ٢٠٣، والتحرير والتنوير: ١٢/ ٣٩.
(٥٨) تفسير الامثل: ١١/ ١٤٨.

حاكية حال اهل المدينة وما عليه من البشارة الظاهرة على وجوهم وانفسهم، عندما بشر بعضهم البعض ((بنزول من هو في صورة الأضياف بلوط وانما فرحوا طمعا في ان ينالوا الفجور منهم))[٥٩]، فقوم لوط قد استبشروا فرحا بهؤلاء الضيوف، وذلك لحصول النتيجة في مخيلتهم من خلال الحصول على اللذة المحرمة المرغوب فيها من قبل هؤلاء الفجرة العاصين لأوامر الله على لسان نبيه، وكذلك تدل الآية في قوله (اهل المدينة) على كونهم جماعة عظيمة يصح عدهم اهل المدينة لكثرتهم وهذا يدل على الفرح والسرور الذي عم المدينة بأكملها فاخذوا يسارعون الى بشارة بعظم البعض والسعي بالمعصية[٦٠]، فالبشارة هنا واضحة في امر غير مرغوب فيه بخلاف اصل البشارة التي تكون بأمر ممدوح ومرغوب فيه لدى الناس وهذا ان دل فإنما يدل على عمق الفسق والفجور وولعهم بالفحشاء عند هؤلاء بحيث اخذوا يستبشرون بالأمور القبيحة التي يبتعد عنها اسوياء القوم والبشر الاصحاء وما اخذت عليه الفطرة والذوق السليم الخالي من الانحراف.

ان دلالة الفعل المضارع (يستبشرون) جاء لافادة التجدد مبالغة في الفرح والسرور الذي ضهر عليهم لانهم علموا بوجود رجال غرباء في بيت لوط عليه السلام وهذا الفرح جاء نتيجة لما سيفعلون بالضيوف من الاعتداء عليهم واغتصابهم كعادة سيئة كانت تلازمهم، فالآية لم تقل ((مستبشرون وانما قالت (يستبشرون) لأفادة تجدد استبشارهم وفرحهم بين الحين والاخر دون ان يكون في وقت معلوم وينتهي ذلك الفرح))[٦١].

كذلك جاء الفرح والسرور على وجوه الكافرين في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٤٥]، فالسرور والاستبشار حال الكافرين وهو نتيجة ذكر غير الله سبحانه وتعالى من اوثان الكفار والهتهم

(٥٩) تفسير الطبرسي: ٦/ ١٢٤.
(٦٠) ينظر: تفسير الميزان: ١٢/ ١٨٣.
(٦١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣/ ٥٣.

التي كان يعبدونها، ونلاحظ ان هناك مقابلة في الآية الكريمة جاءت في لفظين (اشمأزت) و (يستبشرون)، فالاشمئزاز ((شدة الكراهية والنفور، أي كرهت ذلك قلوبهم ومداركهم، والاستبشار شدة الفرح حتى يظهر اثر ذلك على بشرة الوجه... ومقابلة الاشمئزاز بالاستبشار مطابقة كاملة لان الاشمئزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح))[٦٢]، وهذا حالهم الذي وصفته الآية لانهم يعاندون كل ما يصدر من الانبياء من تعاليم ربانية، والملاحظ ايضا ورود (إذا) في الآية في ثلاثة مواضع فـ ((إذ الاولى وإذ الثانية ظرفان مضمنان معنى الشرط كما هو الغالب، وإذ الثالثة للمفاجأة للدلالة على أنهم يعالجهم الاستبشار حينئذٍ من فرط حبهم لألهتهم))[٦٣].

وكذلك جاءت البشارة بالسوء والعاقبة السيئة من خلال البشارة بالنار، فقد جاء هذا النوع في عدة آيات منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[سورة ال عمران: ٢١][٦٤]، فالآية فيها سبب ونتيجة، النتيجة هي البشارة بالعذاب وسبب ذلك فيه ثلاثة ذنوب كبيرة وهي ((الكفر بآيات الله وقتل الانبياء بغير حق وقتل الذين يدعون الى العدالة ويدافعون عن اهداف الانبياء، وكل واحد من هذه الذنوب يكفي لوحده لجعل الانسان معاندا ومتصلبا بكفره وعدم تسليمه للحق، بل يسعى لخنق كل صوت يدعوا الى الحق))[٦٥]، فالملاحظ ان البشارة جاءت على خلاف العادة من السرور بالبشرى والجزاء الحسن، بل جاءت هناك الى امر مكروه وغير محمود الا وهو النار وبئس البشارة هذه التي وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم، والملاحظ ان هذه البشارة ((تصريح بشمول الغضب

(٦٢) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٠٤.
(٦٣) التحرير والتنوير: ٢٤/ ١٠٤، وينظر: الدر المنثور: ١٢/ ٦٦٩، وتفسير ابي السعود: ٧/ ٢٥٧.
(٦٤) وينظر: سورة التوبة: ٣٤، ٣، وسورة النساء: ١٣٨.
(٦٥) تفسير الامثل: ٢/ ٢٦٦.

ونـزول السـخط، وليس هـو العـذاب الاخـروي فحسب بدليل قـوله تعالى عقيب الآية (اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة)، فمنهم مبشرون بالعذاب الدنيوي والأخوي معا))[٦٦]، واستعمال البشارة هنا للأخبار ((بالعذاب في هذه الآية وفي غيرها انما هو نوع من التهديد والاستهزاء بأفكار المذنبين وهذا اشبه بما هو متداول بيننا اليوم، اذ نقول مستهزئين لمن اساء الفعل: حسنا، سوف نكافوك على ذلـك))[٦٧]، وهـذا نـوع من الطعن والتوبيخ للكاذبين الذين يغرقون في بحر الندم والحسرة وزيادة التشنيع والتوبيخ لأولئك نتيجة قتل الانبياء دون أي مسوغ وعن اصرار فهم يعلمون ان ذلك القتل بغير حق وهذا اشد انواع الاعتداء، فقد استعيرت البشارة التي هي للأخبار بما يسر للإنذار الذي هو ضده بإدخاله في جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء وغاية الذم لأفعالهم.

وجـــاءت البشارة بالعذاب الاليم بصيغة فعل الامر في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[سورة لقمان: ٧]، وقوله تعالى ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سـورة الجاثية: ٨]، فالبشارة في الآيتين الكريمتين جاءت كذلك على غير عادة البشارة بالخير لوجود سبب وهذا السبب يحمل دلالة في الآية الكريمة وذلك ان ((من تكبر عن قول الحق اذا دعي اليه كان مرتكبا اعظم كبيرة ولـذلـك... ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك))[٦٨]، فهذا سبب وجيه لحصول البشارة بالعذاب، كذلك نلاحظ ان الآية وصفت العذاب بالأليم لعظم الجرم الذي جاءوا به من التكبر والتعنت وعدم الاستجابة لآيات الله، ، فهو بذلك يمانع ويقف سدا منيعا من نشر دين الحق للبشرية، فان ((اعراضه لم يكن نابعا من

(٦٦) تفسير الميزان: ٣/ ١٤٢.
(٦٧) تفسير الامثل: ٢/ ٢٦٦، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٣٠١.
(٦٨) تفسير الطبرسي: ٢/ ٤٨، وينظر: تفسير اللباب: ١٧/ ٣٥٠.

تضرر مصالحه الدنيوية والحد من رغباته وشهواته فحسب، بل ان الامر اكبر من ذلك، فان فيه واقع التكبر امام عظمة الله وآياته وهو اعظم ذنب فيه))[٦٩]، وبهذا فان البشارة جاءت للتهكم والسخرية منهم، فاستعمال البشارة في الآيات الواردة في الضرب الثاني جاءت مجازية قصد بها التهكم، فالمعنى((انذرهم بعذاب اليم، لان العذاب لا يبشر به، فاستعار التبشير للإنذار بعد ان نزل التضاد منزلة التناسب تهكما لذا كان التعبير بلفظ بشرهم ابلغ لأنه اشد لذعا وايلاما من لفظ انذرهم الحقيقي))[٧٠].

ووردت مادة (بشر) في التعبير القرآني بصيغة الفعل المبني للمجهول للذين يعترضون على عطاء رب العالمين في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [سورة النحل: ٥٨][٧١]، فالملاحظ في البشارة هنا امران، الاول من الناحية الذات المقدسة التي تعتبر ان المولود بغض النظر عن جنسه هو بشارة لوالديه الذين يستأنسون به، وبذلك تكون بشارة حسنة مرغوب في سماعها، اما الامر الاخر فهو من جانب الجهلة من القوم الذين يعتبرون الانثى عار يلحق بهم، لأنها سوف تكون لعبة بيد الذكر عندما يأخذها لنفسه من خلال الزواج او السبي فهذه البشارة مدعاة الى السخط وسواد الوجه وكان مصيبة وقعت عليه، والذي يحكمنا في هذا الامر ان السياق القرآني رجح الامر الثاني لما فيه من قرائن في التعبير القرآني فقوله (مسوداً وهو كظيم) دلالة على ان البشارة التي جاءت كانت سيئة ووقعها ثقيل على قلبه، فالله اراد بالبشارة الشيء الحسن الجميل و المتلقي اراد بها الشيء السيء القبيح وهذا ان دل فإنما يدل على عدم الاعتراف بجميل الخالق وسوء فعل وقبح المتلقي الذي بدل نعمته الله كفرا، كذلك يمكن ان نعد البشارة ((تعريضا بالتهكم بهم اذا يعدون البشارة مصيبة وذلك من تحريفهم الحقائق))[٧٢]، وهذا وارد في هذه الآية.

(٦٩) تفسير الامثل: ١٣/ ١١، وينظر: تفسير ابي السعود: ٨/ ٦٩.
(٧٠) الاتقان في علوم القرآن: ١/ ٢٨٠.
(٧١) وينظر: سورة الزخرف: ١٧.
(٧٢) التحرير والتنوير: ١٣/ ١٤٨.

نتائج البحـــــــــــــث:

١. ان التبشير هـو الخـبر السـار الـذي يصاحب انبساط الوجه وهـذا هو المعنى الاصلي لهذه المـادة، اما المعنى الاخر فهو المضاد للأول وهو من باب الاستهزاء والتهكم والوعيد من قبل الله.

٢. جاءت مادة (بشر) بتشكلاتها (بُشراً) و(بشرى) في القرآن الكريم للبشارة بالخير.

٣. جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (بُشرَ) للتبشير بالأنثى لا غير.

٤. جاء (أبـشر) و (استبشر) وما اشتق منها ومن المضعف في القرآن الكريم للأمر الحسن الذي يجلب السرور.

٥. عبر التعبير القرآني عن الانبســاط والـفـرح والـطـلاقـة في مـادة (بـشر) بصيغة التبشير الحسن وهذا بخلاف الانذار وهو تخويف العباد.

٦. جاءت مفردة (بشر) في القرآن الكريم بالصورة المصدرية في (١٥ موضعاً) كل هذه المواضع هي للبشارة الحسنة التي ترسم على وجه المتلقي الفرح و السرور، الا في موضع واحد جاءت البشارة فيه منفية بـ (لا) لتخرجها الى عدم بشارة المخاطب بالأمور الحسنة المسرة.

٧. وردت مـادة بشر في القرآن الكريم بصيغة فعل الامر على ضربين، الضرب الاول يكون فيه الجزاء الحسن الجميل من خلال البشارة بالخير للمؤمنين الصالحين، والـضرب الـثـاني يكون فيه الجزاء بالسوء والعاقبة السيئة من خلال البشارة بجهنم ويكون ذلك للعاصين والكفار والمنافقين.

٨. من خلال الاطلاع على مفردة (بشر) في القرآن الكريم الـواردة في صيغة المشتقات نلاحظ ان هذه المفـــردة جاءت صياغتها الاشتقاقيـــــة دالة على الخير والاشياء الحسنـــــة دون الوجه الثاني للبشارة الذي يدل على السوء والسخط من الله على الكفار والمعاندين وهذا الامر واضح.

٩. تتدفّق من مادة (بشر) دلالة التّكرار والـدَّوام، فالتَّضعيف في بشّر يعني التّكرير ممَّا يوحي بـأنّ البشارة من الله متجدِّدة، وكثيرة متَّسمة بالدَّوامِ والاستمراريَّة.

أهـــــــم المصادر:

- الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبـــد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد احمد زمرلي، دار الكتاب العربي -بيروت، د. ط/ ٢٠٠٥م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: العلامـــــة مصطفوي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط٣/ ٢٠٠٩م
- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن احمد بن جزي: تحقيق: عبد الـرزاق المـهـدي، مؤسسة التاريخ العربي -بيروت، ط١/ ٢٠٠٤م.
- تفسير البـحـر المـحـيـط: محـمـد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـــ)، تحقيق: عـادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.
- تفسير الشعراوي: الشيخ محمد متولي الشعراوي، مراجعة: د. احمد عمر هاشم، مجمع البحوث الاسلامية في الازهر -القاهرة/ ١٩٩١م.
- تفسير الصافي: الشيخ محسن الفيض الـكـاشـاني(ت ١٠٩١هـــ)، مكتبة الصدر -ايران، ط٣/ ١٤١٥هـ.
- تفسير الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق: محمود شاكر، دار إحياء الـتراث العربي ـ بيروت، ط١/ ٢٠٠١م.
- تفسير الـطـوسي: أبـو جعفر محمد بن الحسن الـطـوسي(ت ٤٦٠هـــ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار الامير-بيروت، ط١/ ٢٠١٠م.
- تفسير الـكـشـاف: محـمـود بـن عمر الزمخشري، ضبط: أبو عبد الله الداني، دار إحياء الـتراث العربي -بـيروت، ٢٠١٢م.
- تفسير الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الـشـيرازي، دار الامـيرة -بـيروت، ط٢/ ٢٠٠٩م.
- تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا،

دار المنار -القاهرة، ط٢/ ١٩٤٧م.
- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي - بيروت/ ١٩٩٧م.
- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو الفضل الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي -بيروت، ط٢/ ٢٠٠٥م.
- الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية- القاهرة ٢٠٠٣م.
- زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي- بيروت، ط٣/ ١٩٨٤م.
- من وحي القرآن: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة المطبوعات العربية -بيروت، ط١/ ١٩٨١م.
- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تصحيح وتعليق: محمد عمران الأعظمي العمري وآخرون، د. ط، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة ١٩٨٤ م.
- النكت والعيون تفسير الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ)، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية -بيروت. د. ت.